تحليل الظواهر الصوتية
في
قراءة حمزة بن حبيب

د. سمير شريف ستيتية
قسم اللغة العربية
جامعة اليرموك

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات أحد أئمة القراءات القرآنية، وأحد القراء السبعة، وقد تم توزيع مادة هذا البحث إلى مطلبين، أولهما في سيرة حمزة بن حبيب، وموقع قراءته بين القراءات السبع، وثانيهما في الظواهر الصوتية في قراءة حمزة. وقد تم اختيار خمس ظواهر كبرى لمناقشتها في هذا البحث وهي: المد، والسكت والوقف ومماثلة الحركات، ومماثلة الصوامت، والامالة.

وقد درس هذا البحث هذه الظواهر من وجهة نظر علم النظم الصوتية

وقد تم استخلاص القواعد الصوتية التي تحكم كل ظاهرة، وترجمت هذه القواعد إلى معادلات رياضية فونولوجية.

تحليل الظواهر الصوتية
في قراءة حمزة بن حبيب

المطلب الأول: حمزة بن حبيب وقراءته

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل، امام أهل الكوفة، ومولى آل عكرمة بن ربعي التَّيميّ، وقيل: بل هو عربي صليبة. وهو أحد القراء السبعة الذين تلقت الأمة قراءاتهم بالتسليم والقبول. كان عالما فذا، وبحرا من بحور العلم والصلاح. ولد سنة ثمانين من هجرة سيد المرسلين، أي في السنة التي ولد فيها أبو حنيفة النعمان[١]. ويحتمل بل يرجع أن يكون قد أدرك بعض الصحابة، أو رأى نفرا منهم.

انصرف حمزة إلى العلم منذ صغره، وكان شديد الورع، شديد التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال فيه أبو حنيفة: «غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض[٢]»

ورأى الأعمش[٣] يوما حمزة مقبلا فقال: «وبشّر المخبتين»[٤].

وقد قيل له (الزيات) لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان (مدينة في آخر

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت أحد الأئمة المجتهدين، كوفي تيمي من رهط حمزة بن حبيب، كان خزازا يبيع الخز وهي الثياب التي تنسج من الصوف، وهو أمام أهل الرأي، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم، فهو تابعي جليل. توفي سنة ١٥٠هـ (مناقب أبي حنيفة: ١٠ - ٣٦).

(٢) محمد بن أحمد الذهبي. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٣) ١/٦٠٥.

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش أحد القراء الأربعة عشر. أخذ القراءة عرضا من النخعي وزر بن حبيش وعاصم وغيرهم. وروى عنه القراءة حمزة، ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١٤٨هـ (غاية النهاية: ١/٣١٧).

(٤) الذهبي، **ميزان الاعتدال** ١/٦٠٥.

سواد العراق)، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعرف به[٥]. وقد توفي حمزة سنة ثمان وخمسين ومائة.

وقد رويت قراءته بروايتين هما[٦]:

١ – رواية خلف البزار: وهو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب البزار، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن حمزة. ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة عشرين ومائتين ببغداد. كان رحمه الله ثقة كبيرا زاهدا عابدا.

٢ – رواية خلاد الصيرفي: وهو أبو عيسى وقيل: أبو عبد الله خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي، من أئمة الكوفة المشهورين في القراءة. توفي سنة عشرين ومائتين أيضا.

المطلب الثاني: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة

تمتاز قراءة حمزة بوجود ظواهر صوتية كثيرة، أكثر من أية قراءة أخرى من القراءات السبع، ما خلا قراءة أبي عمرو بن العلاء[٧] وسندرس هذه الظواهر موزعة على الأُطر الآتية:

١. المدّ

٢. السكت والوقف

٣. مماثلة الحركات

---

(٥) أحمد بن خلكان. **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**. تحقيق: د. احسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٦) ٢/ ٢١٦.

(٦) محمد بن الجزري. **النشر في القراءات العشر**. تحقيق علي محمد الضباع (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ١/ ١٥٨ – ١٦٤.

(٧) أبو عمرو زبان بن العلاء أحد القراء السبعة ولد سنة ٦٨هـ (في قول)، وهو أكثر القراء السبعة في عدد الشيوخ الذين تلقى عنهم. سمع أنس بن مالك وقرأ على سعيد بن جبير وآخرين توفي سنة ١٥٤هـ (غاية النهاية: ١/ ٢٨٨).

٤. مماثلة الصوامت

٥. الامالة

وفيما يأتي مناقشة لهذه الظواهر والقواعد الصوتية التي تحكمها:

أولاً: المدّ

المدّ هو اطالة مدة الصائت حركة كان أو نصف حركة. تقسّم الحركات في الدراسات الصوتية المعاصرة، بحسب الطول، إلى قصار كالفتحة والضمة والكسرة، ومتوسطات وهي التي تكون أطول من الحركات القصار، وأقصر من نظائرها الطوال. وهذه ليس لها وجود صوتوني (فونيمي) في اللغة العربية، ذلك أن اطالة الحركة القصيرة حتى تصبح حركة متوسطة لا يؤدي إلى تغيير في المعنى. وأما الحركات الطوال فهي ألف المد، وواو المد وياء المد. والحركات المطولة هي الألف والواو والياء عندما تزاد كمياتها، فتصبح أطول من صورتها الطبيعية. والحركات الطوال لها وجود صوتوني في العربية، ذلك أن إطالة الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة في كثير من الكلمات، تؤدي إلى تغيير معناها، وذلك كما في: (مؤمنٌ) التي اذا أطيلت ضمة النون فيها أصبحت: (مؤمنون)، وكما في: (مؤمناً) التي اذا أطيلت فتحة النون فيها أصبحت: (مؤمنان)، وكما في: (مؤمنٍ) التي اذا أطيلت كسرة النون فيها أصبحت: (مؤمنين).

وهنا لا بد من أن نعرض لمناقشة مسألتين هامتين تتصلان بمسألة التقابل بين الحركات القصار ونظائرها الطوال. أما أولى هاتين المسألتين فهي أن بعض اللغويين العرب المعاصرين يحاولون أن يفرقوا بين كمية الصوت ومدته الزمنية، يقول الدكتور تمام حسان: «وينبغي أن يكون واضحا تماما أن هناك فرقا عظيما جدا بين كمية الحرف، وبين المدة التي يستغرقها نطق الصوت، والكمية جزء من النمطية اللغوية، فهي جزء من النظام، والمدة هي الوقت الذي يستغرقه نطق الصوت»[٨]. لا شك في أن كمية الصوت

(٨) تمام حسان. **اللغة العربية – معناها ومبناها** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥) ص ٣٠١.

تمثل مقدار ذبذباته وشدتها وعلوها، ولا شك في أنها بالاضافة إلى ذلك تشمل مدته التي ينطق بها. فاذا كان التفريق بين كمية الصوت ومدته، يعني التفريق بين العام والخاص، فذلك لا خلاف عليه، واذا كان يعني أنه لا صلة بينهما، فذلك غير صحيح، ذلك أن عدد الحزم الصوتية في حركة ما، يزداد بزيادة مدة نطق الحركة. وكذلك الشأن بالنسبة إلى ترددداتها، وسرعة الهواء وحركته.

والمسألة الثانية تتمثل في الاختلاف النوعي بين الحركات القصار والحركات الطوال، ذلك الاختلاف الذي يؤدي إلى عدم صحة المقابلة بين هذين النوعين من الحركات باعتبار الطول. ومعنى ذلك عدم صحة القول ان الفارق الوحيد بين الحركة القصيرة ونظيرتها الطويلة، انما هو فارق في الطول فقط. لقد ذهب الدكتور كمال بشر إلى أن الكسرة العربية أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية الأولى المبيَّنة في الشكل (١) مع فرقين اثنين:

الأول: أن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعا منه مع المعيارية رقم (١)، فالكسرة العربية إذاً حركة ضيقة، ولكن بدرجة أقل من المعيارية.

الثاني: أن أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلا. فالكسرة االعربية إذاً حركة أمامية، ولكن ليس بالدرجة التي توصف بها هذه الحركة المعيارية[٩].

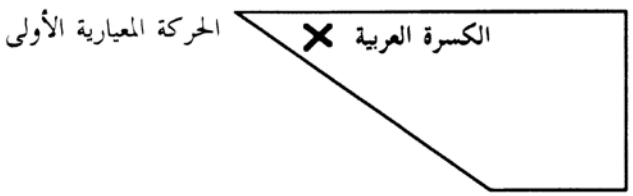

الشكل (١)

(٩) كمال بشر. علم اللغة العام – الأصوات (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠) ص ٢٥١.

لقد تأثر الدكتور كمال بشر في هذه المقولة، بما ذهب اليه دانيال جونز الذي زعم أن اللسان يرتد إلى الخلف منحدرا قليلا عند نطق الحركة الانجليزية القصيرة (التي تماثل الكسرة العربية)، وأن اللسان عند نطق الحركة الطويلة (التي تقابل ياء المد في العربية) يرتفع حتى يكون في العلوّ والتقدم اللذين يكون عليهما عند نطق الحركة المعيارية الأساسية الأولى[١٠].

لقد تأثر الدكتور كمال بشر في وصفه للحركات العربية بما ذهب اليه دانيال جونز في وصف الحركات الانجليزية، وهنا نود أن نبين ما يأتي:

١. في القراءات القرآنية – بما فيها قراءة حمزة – يتم نطق الكسرة، بحيث لا يكون أي فرق في وضع اللسان عند نطقها، ووضعه عند نطق ياء المد. أي أن الفرق بينهما يكون في الطول، لا في وضع اللسان.

٢. هذا، وإنّ إطلاق القول بوجود فرق بين الكسرة وياء المدّ، من حيث وضع اللسان، أمر يحتاج إلى مراجعة، واعادة نظر، ذلك أننا اذا وضعنا الكسرة في سياقات متصلة، وجدنا اللسان عند نطقها، كالوضع الذي يكون عليه عند نطق ياء المد، من حيث الارتفاع والتقدم سواء بسواء، وذلك مثل: وفّه حقه، مقابل: وفّيه حقه، فان اللسان عند نطق كسرة الفاء في وفّه حقّه، يكون من حيث الارتفاع والتقدم، في نفس النقطة التي يكون عليها عند نطق ياء المدّ في: وفّيه حقه. وثمة أمثلة كثيرة توضح هذا، ولكننا نكتفي بهذا المثال للاستدلال على عدم صحة اطلاق الحكم في هذه المسألة.

يقسم علماء القراءات المدّ، من حيث طوله، إلى: مدّ طبيعي، ومدته مدّة قبض الاصبع أو بسطها ويسمونه أحيانا (القصر). واختلفوا بعد ذلك في تحديد أقسام المدود، ولكن أغلبهم على القول بوجود أربع درجات فوق المد الطبيعي (القصر) وهي: فويق القصر، ومقداره ثلاثة حركات بأصابع اليد، والتوسط ومقداره أربع حركات، وفويق

---

(١٠) انظر: Daniel. Jones. **An Outline of English Phonetics** (Cambridge, W. Heffer & Sons Ltd., 1956) p. 66.

التوسط ومقداره خمس حركات، والاشباع ومقداره ست حركات[١١].

تمتاز قراءة حمزة بأنها من القراءات التي تكثر فيها درجات المدّ الأربع المطولة. وقد ذكر بعض علماء القراءات أن قراءة حمزة من أشبع القراءات مدا[١٢].

غير أن علماء القراءات يقسمون المد، من حيث موقعه، إلى أقسام كثيرة، فمنها: المد المنفصل وهو الذي يقع على حرف المد الذي في آخر الكلمة، إذا كانت متلوة بهمزة مثل: يا أيها الذين آمنوا. ومقدار هذا المد عند حمزة الاشباع، أي بمقدار ست حركات[١٣]. قال ابن مجاهد[١٤]: «وكان حمزة يميز في المدّ بين الهمزتين المتفقتين المرفوعتين، والمفتوحتين، والمخفوضتين، وروى خلف[١٥] عن سليم[١٦] أن أطول المد عند حمزة ما كان مثل. تلقاء أصحاب النار[١٧]، وجاء أحدهم[١٨]. وكذلك ما أتى من الهمزة مفتوحا، وان كان همزة واحدة مثل: يأيها»[١٩].

وأما المد المتصل، فهو الذي يقع على حرف المد الذي تتلوه همزة في نفس الكلمة، وذلك مثل: (الصائمين والملائكة واسرائيل وأولئك). ومقدار هذا المد عند حمزة هو

---

(١١) محمد المحيسن. **المهذب في القراءات العشر** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٣) ١/٣٨.

(١٢) طاهر بن غلبون. **التذكرة في القراءات**. تحقيق عبد الفتاح بحيري ابراهيم (القاهرة: الزهراء للاعلام، ١٩٩٠).

(١٣) علي بن القاصح. سراج القارىء **المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي** (القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، ١٩٥٤) ص ٤٩.

(١٤) أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي ولد سنة ٢٤٥هـ قرأ على ابن عبدوس وعلى عدد كبير من العلماء، له كتاب السبعة في القراءات، توفي سنة ٣٢٤هـ (غاية النهاية: ١/١٣٩).

(١٥) أبو محمد خلف بن هشام البزار أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة وسمع من الكسائي، وهو عالم ثقة كبير، توفي سنة ٢٢٩هـ (غاية النهاية: ١/٢٧٣).

(١٦) أبو عيسى سليم بن عيسى، عرض على حمزة وهو أخص أصحابه وهو الذي خلفه بالقراءة. توفي سنة ١٨٨هـ (غاية النهاية: ١/٣١٨).

(١٧) الأعراف: ٤٧

(١٨) المؤمنون: ٩٩.

(١٩) ابن مجاهد. **السبعة في القراءات**. تحقيق: شوقي ضيف (القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ) ص ١٣٥.

الاشباع، أي بمقدار ست حركات[٢٠]. وقد ورد عن خلف عن سليم أن حمزة كان يقصر المدّ المتصل في (الملائكة وخائفين واسرائيل) عنه في (جاء أحدهم)، ولكنه كان يطيل المد المتصل في (الملائكة وخائفين واسرائيل) أكثر مما يطيله في (أولئك)[٢١]. وقد رد ابن الجزري[٢٢] على التفريق في المد بين (الملائكة وخائفين واسرائيل) و (أولئك) فقال:«وليس العمل على ذلك عند أحد من الأئمة، بل المأخوذ به عند أئمة الأمصار في سائر الأعصار خلافه، إذ النظر يرده، والقياس يأباه، والنقل المتواتر يخالفه. ولا فرق بين (أولئك) و (خائفين) فان الهمزة فيهما بعد الألف مكسورة»[٢٣].

وأما مد البدل، فهو الذي يكون قبل حرف المد همزة فمثله (آمين، وايمان). وهذا النوع من المد لم تخالف فيه قراءة حمزة سائر القراءات.

ومن أنواع المد مدّ الحجز، وهو الذي يحجز بين الساكنين والمتحرك نحو (الضالّين ودابّة). ولم تختلف قراءة حمزة في مقدار هذا المد عن سائر القراءات، ومقداره الاشباع أيضا. ويسمى هذا المد أيضا «المدّ اللازم الكلمي المثقل».

ومنه مدّ المبالغة للتعظيم. ومن أمثلته التي ترد في بعض كتب القراءات مدّ «لا اله الا الله»[٢٤]. وهنا تنشأ مشكلة في اعتبار المد في «لا اله الا الله» للتعظيم، فالأصح أن مدّ «لا» هنا انما هو من المد المنفصل الذي يكون بالاشباع في قراءة حمزة يكون بأربع حركات فقط. ثم ان مدّ المبالغة لا يكون للتعظيم دائما، بل قد يكون للتوكيد، وذلك مثل «لا ريب فيه»[٢٥] و «لاشية فيها»[٢٦] وكذلك «لا مردّ له»[٢٧] و «لا جرم»[٢٨] فقد

---

(٢٠) ابن القاصح. **سراج المبتدى وتذكار المقرىء المنتهى** ص ٤٩.

(٢١) ابن مجاهد. **السبعة في القراءات**، ص ١٣٥.

(٢٢) شيخ الاسلام محمد بن محمد الجزري ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ أخذ القراءات عن شيوخ وقته، له تصانيف كثيرة منها: النشر في القراءات العشر، وغاية النهائية في طبقات القراء، توفي سنة ٨٣٣هـ.

(٢٣) ابن الجزري. **النشر في القراءات العشر** ٣١٧/١.

(٢٤) ابن القاصح. **سراج القارىء المبتدى وتذكر المقرىء المنتهي**، ص ٤٨.

(٢٥) البقرة: ٢. (٢٦) البقرة: ٧١.

(٢٧) الروم: ٤٣

(٢٨) حيث وردت في كتاب الله عز وجل.

قرأ حمزة بمد «لا» في هذه الآيات مدا متوسطا، أي بمقدار أربع حركات[٢٩].

ومن أقسام المدّ: مدّ اللين، مثل مدّ «شيء» فقد مدها حمزة مدا متوسطا، أي بمقدار أربع حركات.

ثانيا: السكت والوقف

روى خلف عن سليم عن حمزة أنه كان يسكت على الحرف الصحيح الساكن الذي تتبعه همزة سكتا قصيرا قبل نطق الهمزة[٣٠] دون أن يقطع نفسه، وذلك بشرط عدم اسقاط الهمزة أو نقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها. وبيان ذلك أنه اذا قرأ كلمة (الأرض) مثلا، فانه يسكت على اللام قبل نطق الهمزة. ومثل ذلك في: «هل أتاك»[٣١] و «عليهم أأنذرتهم»[٣٢] و «نبأ ابني آدم»[٣٣]. وهذا هو أحد الوجوه المروية عن حمزة [٣٤]. والعلة الصوتية التي من أجلها يتم هذا السكت هو تحقيق النبر للمقطعين المتواليين. ولا يحسن تجاوز النظر في هذه المسألة لأن التأمل في حقيقة السكت يُفضي إلى ما قلناه، وهو أنه لولا وجود السكت لكان من الصعب تحقيق نبر المقطعين معا **على النحو الذي يكون عليه النبر عند تحقيق السكت.**

ومع ذلك، فان ثمة وجها آخر مرويا عن حمزة وهو النقل، وحقيقته الصوتية تتمثل في حذف الهمزة ونقل حركتها إلى الصامت الذي قبلها، وذلك كما هو ظاهر في التمثيل الآتي:

---

(٢٩) ابن الجزري. **النشر في القراءات العشر** ١/٣٤٥.

(٣٠) ابن القاصح. **سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي، ص ٨٠.**

(٣١) حيث وردت في كتاب الله عز وجل.

(٣٢) البقرة: ٦

(٣٣) المائدة: ٢٧

(٣٤) ابن القاصح. **سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي. ص ٨١.**

هـ ـَ ل أ ـَ ت ا ك ⟵ هـ ـَ ل ـَ ت ا ك

والمعادلة (١) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١)

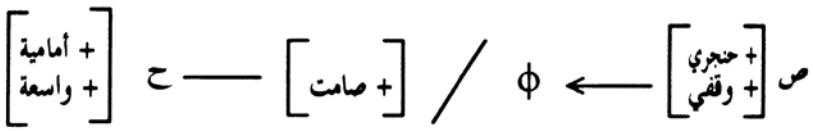

«تسقط الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) اذا كانت مسبوقة بصامت ومتبوعة بفتحة (الحركة الأمامية الواسعة)» وهذا الوجه له ثلاثة أحوال هي:-

١. اذا كان آخر الكلمة صامتا (غير ميم الجمع)، وكان أول الكلمة التي بعدها همزة كما في: «من آمن» فهذا يجوز فيه السكت، ويجوز فيه نقل حركة الهمزة إلى الصامت الذي قبلها، ويجوز فيه التحقيق؛ أي بلا سكت ولا نقل.

٢. اذا كان آخر الكلمة نصف حركة، وأول الكلمة التي بعدها همزة، وذلك مثل «ابنيْ آدم، وخَلَوْا إلى» فالنقل هو المروي عن حمزة[٣٥]، أي أن السكت على الواو أو الياء غير جائز، فتسقط الهمزة، وتنقل حركتها إلى نصف الحركة التي قبلها، والمعادلة (٢) توضح هذه الحالة:

المعادلة (٢)

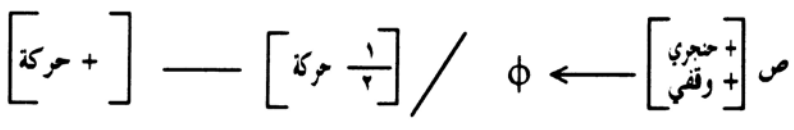

(٣٥) ابن القاصح. سراج القارىء المتبدي وتذكار المقرىء المنتهي. ص ٨١.

٣. اذا كان في آخر الكلمة ميم الجمع وكان أول الكلمة التالية همزة فهذا فيه ثلاثة أوجه هي[٣٦]:

(أ) أن تسقط الهمزة، وتنقل حركتها (سواء أكانت فتحة أم ضمة أم كسرة) إلى ميم الجمع وذلك على نحو ما هو آت:

ومنهمْ أُميون تقرأ: ومنهمُ مُّيّون

سواء عليهمْ أستغفرت تقرأ: سواء عليهمَ سْتغفرت

ذلكمْ إصرى تقرأ: ذلكمِ صْري

والمعادلة (٣) تمثل هذا التغير:

المعادلة (٣)

$$\text{ص} \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow \phi \;/\; \begin{bmatrix} + \text{ميم جمع} \end{bmatrix} \text{ــــ} \begin{bmatrix} + \text{حركة} \end{bmatrix}$$

(ب) أن تضم الميم مطلقا، وذلك بغض النظر عن حركة الهمزة، وذلك كما هو آت:

ومنهم أميون تقرأ: ومنهمو أُميون.

سواء عليهم أستغفرت تقرأ: سواء عليهمو أَستغفرت

ذلكم إصري تقرأ: ذلكمو إصري

وقد قالوا في تعليل الحاق الضم بميم الجمع: «حذرا من تحريك الميم بغير حركتها الأصلية»[٣٧].

(٣٦) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٣٧) المرجع السابق، ص ٧٩.

والمعادلة (٤) توضح هذا الوجه:

المعادلة (٤)

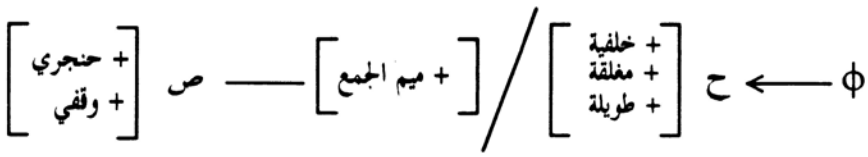

(جـ) النقل في الضم والكسر دون الفتح من أجل ألاّ يختلط بلفظ التثنية. والمعادلة (٥) تمثل هذا.

المعادلة (٥)

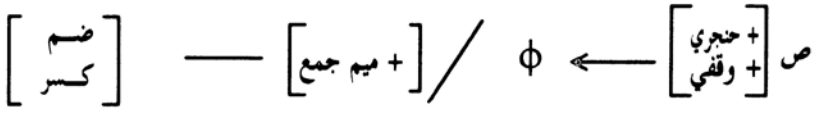

وقد روى عن حمزة أنه كان يقف على الياء في «شيء» في القرآن الكريم كله[٣٨]. ومن الواضح أن الوجه الأول والثالث يسقطان الهمزة، وهذا من أساليب العرب في التعامل مع الهمزة ، فبعض العرب يحققون الهمزة، وبعضهم يحذفها، وبعضهم يبدلها حركة أو نصف حركة، قال خلف:«وقريش لا تهمز، ليس الهمز من لغتها، وانما همزت القراء بلغة غير قريش من العرب»[٣٩] وقال ابن الجزري:«واعلم أنه من كانت لغته

(٣٨) ابن الجزري. **النشر في القراءات العشر** ٣٤٧/١.

(٣٩) محمد بن القاسم الأنباري. **ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**. تحقيق: محيي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧١) ٣٩٢/١.

تخفيف الهمز، فإنه لا ينطق بالهمز الا في الابتداء، والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر، فإنه لا ينطق بالهمز إلا في الابتداء، والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب، فما أحد من القراء الا وقد ورد عنه تخفيف الهمز اما عموما واما خصوصا»[٤٠].

وقد ذهب حمزة في قراءته إلى اختيار الوجوه التي تعامل بها العرب الهمزة، يقول مكي بن أبي طالب[٤١]: اعلم أن الهمزة في التخفيف لحمزة تجري على ثلاثة أوجه الأول: البدل وذلك في الساكنة، وفي المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، وفي المتحركة التي قبلها حرف مدّ ولين زائد غير الألف، أو غير زائد، أو حرف لين، فهذا كله يجري على البدل. الثاني: القاء الحركة، وذلك إن كان قبل الهمزة ساكن، غير ألف وغير حرف مدّ ولين زائد، فهذا تلقى فيه حركة الهمزة على ما قبلها، فيتحرك ما قبلها بحركتها أو تحذفها. والثالث: بين بين، وذلك في كل همزة متحركة قبلها ألف أو حرف متحرك، الا المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، فانها تجري على البدل»[٤٢].

وتميزت قراءة حمزة بأنها **عند الوقف** على كلمات مهموزة فانها تبدل الهمزة حركة أو نصف حركة أو أنها تسهلها «بين بين». وهذه الظاهرة من أهم الظواهر الصوتية في هذه القراءة، بل هي في نظر بعض العلماء من المشكلات التي يحتاج النظر فيها إلى دراية وتعمق، قال ابن الجزري:«وهو باب مشكل يحتاج إلى معرفة في تحقيق مذاهب العربية، وأحكام رسم المصاحف العثمانية، وتمييز الرواية، واتقان الدراية»[٤٣]. وفيما يأتي صور ابدال الهمزة عند الوقف في قراءة حمزة:

---

(٤٠) ابن الجزري. **النشر في القراءات العشر** ٤٢٩/١.

(٤١) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ولد بمدينة القيروان سنة ٣٥٥هـ من شيوخه طاهر بن غلبون، من كتبه: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، توفي سنة ٤٣٧هـ (انباه الرواة: ٣١٥/٣).

(٤٢) مكي بن أبي طالب. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محيي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٤) ١١٥/١.

(٤٣) ابن الجزري. **النشر في القراءات العشر**. ٤٢٨/١.

١. إبدال الهمزة ضمة:

- قرأ حمزة «لن نؤمن لك»[٤٤] عند الوقف:«لن نومن لك»، ولكنه في حال الوصل يبقيها على حالها ولا يبدل الهمزة ضمة.

- وقرأ «يؤمرون وتؤمرون» بابدال الهمزة فيهما عند الوقف ضمة: «يومرون وتومرون». لكنه في حال الوصل يبقي الهمزة على حاالها دون ابدال. وقد قلنا إن الهمزة هنا أبدلت ضمة، لا واوا كما كان العلماء السابقون يتصورون، لأن حركة النون هي الضم في «يؤمرون»، ونظيرتها، ولما أبدلت الهمزة ضمة أصبحت الضمتان واو مدّ. وقد كان العلماء السابقون يتصورون وجود ضمة مستقلة عن الواو وسابقة لها مباشرة، وهذا غير صحيح من الناحية الصوتية. هذا والمعادلة (٦) تمثل هذا التحول:

المعادلة (٦):

$$\text{ص} \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longleftarrow \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{خلفية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \Big/ \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{خلفية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \longrightarrow$$

٢. إبدال الهمزة فتحة:

قرأ حمزة:«يأمركم» عند الوقف:«يامركم» وقرأ عند الوقف أيضا «راسه» بدلا من «رأسه»، وقرأ عند الوقف كذلك «كاسا» بدلا من «كأسا»، وقرأ عند الوقف «فلا تاس» بدلا من «فلا تأس». وقد قلنا إن الهمزة قلبت فتحة، لأن حركة الصامت الذي قبل الهمزة هي الفتحة، وعندما تتحول الهمزة إلى فتحة تصبح الفتحتان ألفا، هكذا:

---

(٤٤) الأنعام: ١٣٤.

ر ـَ أس ـَ ـه ⟵ ر ـَ ـَ س ـَ ـه

رأسَـــــه ⟵ راسَـــــه

أي أن التحول يتمثل في ابدال الهمزة فتحة بسبب وجود الفتحة التي قبلها، ولم تتحول الهمزة إلى ألف كما ظن أبن الجزري حين قال:«وان كان قبله فتح أبدل ألفا»[٤٥]. والمعادلة (٧) تمثل هذا التغير الصوتي:

المعادلة (٧)

$$\text{ص}\begin{bmatrix}+\text{حنجري}\\+\text{وقفي}\end{bmatrix} \longleftarrow \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{واسعة}\end{bmatrix} \;/\; \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{واسعة}\end{bmatrix} ___$$

٣. ابدال الهمزة كسرة

قرأ حمزة «شئتم» عند الوقف:«شيتم»، وقرأ «بئس» عند الوقف «بيس». وقد أبدلت الهمزة هنا كسرة لكونها مسبوقة بكسرة، ثم أصبحت الكسرتان ياء مدّ. وهذا يعني عدم صحة القول ان الهمزة قلبت ياء مدّ.

واذن، يكون التحول الصوتي هكذا:

بـ ـِـ ء س ⟵ بـ ـِـ ـِـ س ⟵ بيس

وتكون المعادلة (٨) هي الممثل لهذا التغير:

(٤٥) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ١/ ٤٣١.

المعادلة (٨):

هذا، ويمكن أن تجمع المعادلات من ١، ٨ في المعادلة (٩) وهي المعادلة الآتية:

المعادلة (٩):

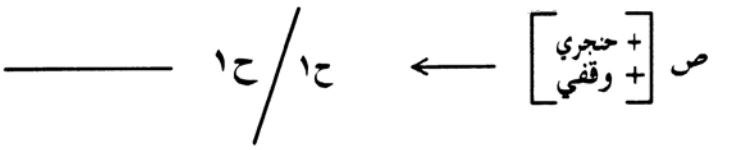

يشير الرقم ١ على يسار الحركة ح إلى أن الحركة التي تبدل بالهمزة هي نفس الحركة التي تكون سابقا.

٤. ابدال الهمزة واوا (نصف حركة)

قرأ حمزة (الرؤيا) عند الوقف، وحيث وردت في القرآن الكريم (الرويا)، وقرأ (مؤجلا) عند الوقف (مُوَجّلا)، وقرأ (يؤيد) عند الوقف (يُوَيِّد)، وقرأ (فليؤد) عند الوقف (فَلْيُوَدّ)، أي أن الهمزة في هذه الكلمات جميعا قد تحولت إلى نصف حركة. وبذلك تكون المعادلة (١٠) هي الممثلة لهذا التغير:

المعادلة (١٠)

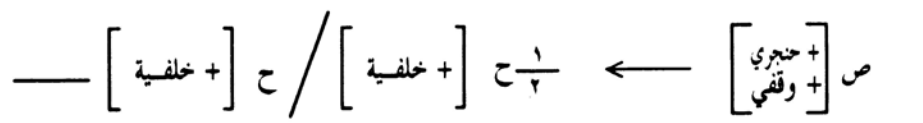

٥. ابدال الهمزة ياء (نصف حركة)

قرأ حمزة (فئة، وفئتين، ومئة، وليطمئن، ولأقتلك) عند الوقف على كل منها (فية، وفيتين، ومية، وليطمين، وليقتلك)، ويكون التغيير على نحو ما هو مبين في المعادلة (١١).

المعادلة (١١)

$$\text{ص} \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow \frac{1}{2}\,\text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \end{bmatrix} \Big/ \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{مغلقة} \end{bmatrix} \text{ــــ}$$

٦. التسهيل «بين بين»

ذكر ابن الجزري أن حمزة قرأ كلا من (جاءوا، وشركاؤنا، والملائكة، وجاءنا) بتسهيل الهمزة عند الوقف تسهيل بين بين[٤٦].

ان الذي سماه علماء القراءات، ومنهم ابن الجزري، تسهيل «بين بين» هو في حقيقته الصوتية، إسقاط للهمزة، مع الابقاء على حركتها. ويظهر ذلك في التمثيل الصوتي الآتي:

شركاء ـِ نـا ⟵ شركا ـِ نا

وتظهر حقيقة ذلك في المعادلة (١٢).

(٤٦) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ٤٣٣/١.

المعادلة (١٢)

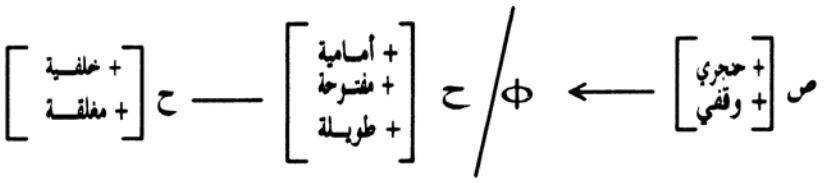

ومن هذه الصورة ما قاله صاحب الايضاح:«وكان حمزة يسكت على قوله: ان الذين كفروا سواء[٤٧]، ويمدّ، ثم يشم الضم من غير همز، وكذلك: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ[٤٨]، من الحق شيئا[٤٩]، لو يجدون ملجأ[٥٠]، أو نحوه فيسكت على هذا كله بغير همز»[٥١].

ثالثا: مماثلة الحركات

لا شك في أن كثيرا من عمليات التحول الصوتي السابقة تمثل صورا من المماثلة. فالهمزة في (بئس) عندما تقلب إلى كسرة، فان ذلك لا يكون الا لمماثلة الكسرة التي قبلها. ولكننا بادرنا إلى دراستها ثمة، لا في مماثلة الحركات، لأن ذلك التغير طارىء عارض في قراءة حمزة، بمعنى أنه لا يتم الا عند الوقف فقط. ولهذا، فإن تغيرا كهذا وان كان في حقيقته مماثلة، فهو ليس مستقرا.

وفي قراءة حمزة صور كثيرة من المماثلة بين الحركات ومنها:

١ – اذا كانت الهمزة مسبوقة بكسرة ومتبوعة بواو، كما في «مستهزءون، وفمالئون،

(٤٧) البقرة: ٦

(٤٨) النساء: ٩٢.

(٤٩) النجم: ٢٨

(٥٠) التوبة: ٥٧

(٥١) ابن الأنباري. **ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل** ٤٠٣/١.

وليطفئوا، والمنشئون» فحمزة يقرؤها باسقاط الهمزة وصلا وفصلا[٥٢]. هكذا جاء في كتب القراءات، وهم يريدون بذلك أن حمزة يقرؤها كما يأتي: مستهزون، وفمالون، وليطفوا، والمنشون.

ووصفهم هذا يحتاج إلى اعادة نظر، فان هذه الكلمات على هذا النمط لا يمثل سقوط الهمزة منها الا مرحلة واحدة من مراحل تغيرها. وبيان ذلك كلمة (مستهزءون) مثلاً عندما سقطت منها الهمزة بقي صوت الزاي متبوعا بكسر، أي أنه ظل مكسورا، فكانت هذه هي المرحلة الأولى، وهي هذه:

مستهز ـــِ ءون ⟵ مستهز ـــِون

والمعادلة (١٣) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١٣)

$$\text{ص}\begin{bmatrix}+\text{حنجري}\\+\text{وقفي}\end{bmatrix} \longleftarrow \text{ح} \,/\, \Phi \,___\, \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{امامية}\\+\text{ضيقة}\end{bmatrix} ___\, \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{ضيقة}\\+\text{طويلة}\end{bmatrix}$$

وهذا التغير هو الذي سموه «تسهيل بين بين». ولكن هذا التغير يمثل البنية قبل السطحية sub - surface form.

ووجه المماثلة في هذه المرحلة يتأتى من سقوط الهمزة من بين الحركتين (الكسرة والواو)، فتأتلف الحركتان لما بينهما من صفات مشتركة فهما أولا صائتان، وهما ثانيا حركتان ضيقتان. وثمة وجه آخر للمماثلة في هذه المرحلة، وهي المماثلة التي تتأتى

(٥٢) محمد المحيسن. **المهذب في القراءات العشر**، ٤٩/١.

للمقطعين من جراء سقوط الهمزة، فيصبح آخر المقطع الذي قبل موقع الهمزة مباشرة منتهيا بحركة، ويصبح المقطع الذي بعد الهمزة مبتدئا بحركة، فيطرأ نوع من التوافق بين المقطعين.

وأما المرحلة الثانية، فهي التي تم فيها الانتقال من المرحلة قبل السطحية إلى المرحلة السطحية، وذلك كما هو واضح في التمثيل الآتي:

مستهز ـِ ون ⟵ مستهزون

ففي هذه المرحلة سقطت الكسرة «كسرة الزاي» فأصبحت الكلمة مستهزون).

ويتم تمثيل هذه المرحلة بالمعادلة (١٤)، وهي الآتية:

المعادلة (١٤)

$$\text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{ضيقة}\end{bmatrix} \longleftarrow \Phi \;/\; \text{ح} \longrightarrow \begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{ضيقة}\\+\text{طويلة}\end{bmatrix}$$

وحمزة انما يقرأ (مستهزءون) بحذف الهمزة ثم حركتها (مستهزون) في حال الوصل فقط، ولكنه عند الوقف يقرؤها باحدى ثلاث صور هي:

١. مستهزون ٢. بالتسهيل بين بين ٣. مستهزيون، أي بابدال الهمزة ياء خالصة، والمعادلة (١٥) تمثل هذه الحالة:

المعادلة (١٥)

$$\text{ص}\begin{bmatrix}+\text{حنجري}\\+\text{وقفي}\end{bmatrix} \longleftarrow \tfrac{١}{٢}\ \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\end{bmatrix} \;/\; \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{ضيقة}\\+\text{قصيرة}\end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح}\begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{ضيقة}\\+\text{طويلة}\end{bmatrix}$$

٢. تجري المماثلة بين الحركات في قراءة حمزة على الرغم من وجود صوامت تفصل بينها، وبيان ذلك فيما هو آت:

* قرأ حمزة «بطونِ إمّهاتكم»[٥٣]، بكسر الهمزة، وكسر الميم المشدّدة[٥٤]. وقد سمّى ابن جني[٥٥] هذه الظاهرة بهجوم الحركات على الحركات فقال:«والضرب الثاني مما هجمت فيه الحركة على الحركة من غير قياس، وهو كبيت الكتاب:

وقال اضرب الساقَيْنِ إمّكَ هابل

وأصله: أُمّك هابل، إلا أن همزة (أمك) كسرت لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ: فلإمّه الثلث[٥٦]، فصار: إمّك هابل، ثم أُتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الاعراب، فابتزّتها موضعها»[٥٧].

٣. ذكر ابن مجاهد أن حمزة كان يقرأ بكسر الشين من (شيوخا)، والجيم من (الجيوب)، والغين من (الغيوب) والباء من (البيوت)، فقال: «وكان حمزة يكسر الأول من هذه الحروف كلها»[٥٨]، ثم قال:«انه كان يشم الجيم الضم، ثم يشير إلى الكسر، ويرفع الياء من قوله (جيوبهن)، وهو شيء لا يضبط»[٥٩]. وهنا لا بد أن نلاحظ ما يأتي:

(أ) أما أنه كاي يشم الجيم الضم، فيعني أنه كان يشرب كسرة الجيم ضما، أي أنه كان يجعلها كالحركة المعيارية الثانوية الأولى التي تظهر في الشكل (٢). والحقيقة النطقية لهذه الحركة تتمثل في أن اللسان يتخذ الوضع الذي يكون عليه عند نطق

---

(٥٣) النحل: ٧٨.

(٥٤) محمد المحيسن. المهذب ٨٦/٢.

(٥٥) عثمان بن جني الموصلي النحوي، من أشهر أئمة اللغة، صحب أبا على الفارسي، من أشهر كتبه الخصائص، وسر صناعة الاعراب (انباه الرواة: ٣٣٥/٢).

(٥٦) النساء: ١١

(٥٧) عثمان بن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار (بيروت: دار الهدى، د. ت) ١٤١/٣.

(٥٨) ابن مجاهد. السبعة في القراءات. ص ١٧٩.

(٥٩) المرجع السابق، ص ١٧٩.

الكسرة أو ياء المد، وفي نفس الوقت، يتم تدوير الشفتين[٦٠].

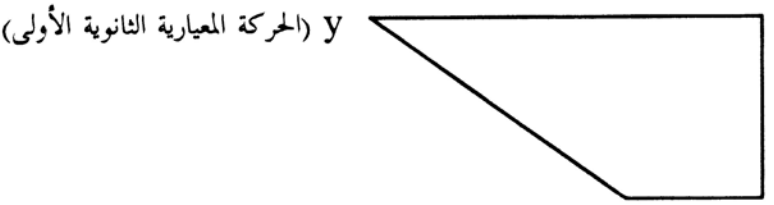

الشكل (٢)

(ب) وأما أن هذا شيء لا يضبط فأمر مرجوح وحكم غير دقيق. إذ يمكن ضبط ذلك عن طريق تدوير الشفتين في حالة نطق ياء المد، كما وضحنا في (أ).

(ج) وأما السبب في كسر أوائل هذه الكلمات، فهو مماثلة الكسرة للياء، فالكسرة صوت أمامي، وكذلك الياء التي هي نصف حركة. وعلى ذلك تكون المماثلة بينهما في قراءة حمزة، اذ تكسر أوائل هذه الكلمات (شيوخا، وجِيوُبهن، والغِيوب، والبِيوت) لمماثلة الياء التي فيها. ويظهر هذا في المعادلة (١٦) وهي الآتية:

المعادلة (١٦)

$$\text{ح} \begin{bmatrix} + \text{خلفية} \\ + \text{مغلقة} \\ + \text{مدورة} \end{bmatrix} \longleftarrow \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{مغلقة} \\ + \text{مدورة} \end{bmatrix} \Big/ \text{ــــ} \; \text{ح}\frac{١}{٢} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \end{bmatrix}$$

(٦٠) انظر J.C. Catford. Fundamental Problems in Phonetics (Bloomington, Indiana University Press, 1977) p. 178.

(د) وأما السبب في رواية إشراب الكسرة الضم فهو المماثلة أيضا، إذ تتحول الضمة الى الحركة المعيارية الثانوية الأولى المحدد موضعها في الشكل (٢). والحركة المعيارية الثانوية الأولى حركة أمامية كما وضحنا. أي أنه يحدث تماثل بينهما وبين الياء من حيث إن كلا منهما صائت أمامي. والمعادلة (١٧) تمثل هذا التغير:

المعادلة (١٧)

$$\text{ح}\begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{مغلقة}\\+\text{مدورة}\end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح} \Big/ \begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{مغلقة}\\+\text{مدورة}\end{bmatrix} \text{____} \text{ح}^{\frac{1}{2}}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\end{bmatrix}$$

٤. قرأ حمزة «عليهُم» بضم الهاء لا كسرها. ولو قرأها حمزة بالكسر، لكان ذلك من أجل إحداث التماثل بين الياء (وهي صوت أمامي) والكسرة (وهي صوت أمامي كذلك). وقد أبقاها حمزة على الأصل. ولكن حمزة قرأ «عليهُمُ الذلة»[٦١] بضم الميم. وهذا من أجل إحداث المماثلة أيضاً، فضمة الميم أصلها همزة الوصل في كلمة (الذلة)، وهمزة الواصل هذه فتحة، قارن:

عليهُمْ ـَ لذلة ⟵ عليهُم ـُ لذلة ⟵ عليهُمُ الذلة

هذا، والمعادلة (١٨) تمثل هذا:

المعادلة (١٨)

$$\text{ح}\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{واسعة}\end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح} \Big/ \begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{مغلقة}\end{bmatrix} \text{ح} \text{____} \begin{bmatrix}+\text{خلفية}\\+\text{مغلقة}\end{bmatrix}$$

(٦١) البقرة: ٦١؛ وآل عمران: ١١٢.

٥. أما إذا كان قبل ميم الجمع كسرة كما في:

«عن قبلتهم التي كانوا عليها»[٦٢]، فإن حمزة يقرؤها بكسر الهاء وميم الجمع هكذا: «قبلتهِمِ التي». وتكون المعادلة (١٩) هي الممثلة لهذا التغير:

المعادلة (١٩)

$$\text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{واسعة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{مغلقة} \end{bmatrix} \Big/ \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{مغلقة} \end{bmatrix} \text{____}$$

رابعا: مماثلة الصوامت

المماثلة بين الصوامت ظاهرة ذات سيرورة واضحة في قراءة حمزة. وفيما يأتي أهم مظاهر هذا التماثل:

١ – المماثلة في الجهر والهمس: تحول بعض الأصوات المهموسة في قراءة حمزة الى نظائرها المجهورة، بسبب مجاورتها أصواتا مجهورة. ومن أمثلة ذلك أن الصاد في (يصدر، وفاصدع، وأصدق) تتحول الى زاي مفخمة. ووجه المماثلة في قراءة حمزة لهذه الكلمات، أن الصاد المهموسة تتحول الى نظيرها المجهور وهو الزاي المفخمة، لمجاورتها للدال المجهورة.

أما كلمة (الصراط) فلها في قراءة حمزة أربع طرق هي [٦٣]:

(أ) إشمام الصاد زايا في الفاتحة فقط (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

(٦٢) البقرة: ١٤١.

(٦٣) محمد المحيسن. **المهذب** ١/٤٥.

عليهم).

(ب) إشمام الصادر زايا في الكلمة الأولى من فاتحة الكتاب العزيز دون الثانية.

(جـ) إشمام الصاد المعرّفة في الفاتحة وحيث وردت في كتاب الله عز وجل.

(د) عدم الإشمام في الجميع.

٢ - الادغام: عرّف بعضهم الادغام بأنه إدغام شيء في شيء، فمعنى أدغمت الحرف في الحرف: أدخلته فيه فجعلت لفظه كلفظ الثاني فصارا مثلين، والأول ساكن، فلم يكن بد من أن يلفظ بهما لفظة واحدة[٦٤].

وقد كان النحاة العرب وعلماء القراءات يفسرون الادغام على أساس القوة والضعف، القوة في الصوت المؤثر، والضعف في الصوت المتأثر، فأقوى الصوتين يؤثر في أضعفهما، فيدغم الأضعف في الأقوى، يقول مكي بن أبي طالب: «وحجة من أدغم دال (قد) في الصاد أنهما اشتركا في المخرج من الفم، لأن لام المعرفة تدغم فيهما، ولأن الدال فيها قوة بالجهر الذي فيها، ولأن الصاد فيها قوة مكررة بالاطباق والصفير والاستعلاء اللواتي فيها، فحصل للدال بادغامها في الصاد قوة زائدة، لأنك تبدل فيها صادا، والصاد أقوى من الدال لما ذكرنا. وهذا مما يحسّن جواز الادغام ويقوّيه. والاظهار حسن، لأنه الأصل، ولأن الصاد مهموسة رخوة، وذلك ضعف متكرر فيها، فقد حصل للدال مزيتان على الصاد وهما: الجهر والشدة اللذان في الدال، فحسن الاظهار لذلك، لأنك اذا أدغمته أبدلت من الدال حرفا مهموسا رخوا، وقد كانت مجهورة شديدة فعكستها إلى ضعف. ولولا أن الاطباق والصفير اللذين في الصاد يقويانها ما جاز الادغام[٦٥]. وجرى مكي على هذا النسق في تفسير ادغام دال (قد) في الزاي والسين والطاء[٦٦]، وادغام ذال (إذْ) في السين والتاء والصاد والدال والجيم والزاي[٦٧]، وادغام

(٦٤) مكي بن أبي طالب. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها** ١٤٣/١.

(٦٥) المرجع السابق ١٤٥/١.

(٦٦) المرجع السابق ١٤٤/١ - ١٤٦.

(٦٧) المرجع السابق ١٤٧/١ - ١٤٩.

تاء التأنيث في الجيم والطاء والصاد والثاء والسين والزاي[٦٨]، وادغام لام (هل) و (بل) في التاء والثاء والزاي والطاء والضاد والظاء والسين والنون[٦٩]، وادغام الباء الساكنة في الفاء والميم، وادغام الفاء الساكنة في الباء[٧٠]، وادغام الثاء في الذال، والذال في الثاء، والراء في اللام، واللام في الراء[٧١].

ومع أن القدرة الذهنية عند مكي بن أبي طالب على تعليل ادغام صوت في آخر مقدرة ذهنية فائقة، فانها لا تزيد على كونها تأويلات يعتريها الخطأ والصواب.

ومن الغريب أن مسألة ادغام صوت في صوت على أساس تميز أحد الصوتين بالقوة ظلت مسألة مقبولة إلى عهد غير بعيد، فقد اشتق موريس جرامونت، وهو لغوي فرنسي قانونا سنة ١٨٤٠ سمي باسمه، وعلى أساسه زعم أن الصوت الأصعف يدغم في الصوت الأقوى[٧٢].

والأمر في نظرنا لا يحتاج إلى تصور القوة والضعف لتفسير ادغام صوت في صوت، والا لما كان باستطاعتنا أن نفسر كيف يدغم صوت قوي متميز في قوته بصوت أضعف منه. فلام التعريف صوت مجهور واضح سمعيا، وشدته واضحة، وترددات عالية، وهو صوت مجهور. ولكنه مع ذلك، يدغم فيما هو أضعف منه، بل بما لا يقاس به وضوحا من جهة الوضوح السمعي. ولام التعريف أوضح من الدال سمعيا، ومع ذلك فانها تدغم في الدال. والجيم أوضح من الدال وأقوى، ومع ذلك فان اللام لا تدغم في الجيم. والعين من أوضح الأصوات سمعيا ومن أكثرها ترددا، ومع ذلك فان لام التعريف لا تدغم فيها.

---

(٦٨) المرجع السابق ١/١٥٠ - ١٥٢.

(٦٩) المرجع السابق ١/١٥٣ - ١٥٤.

(٧٠) المرجع السابق، ١/١٥٥ - ١٥٦.

(٧١) المرجع السابق، ١/١٥٧ - ٢٥٨.

(٧٢) انظر: Bertil Malmberg. Phonetics (N.Y., Dover Publications, Ltd., 1963 (p. 100).

وعلى ذلك، فان تحول صوت قوي شديد الى ما هو أضعف منه وادغامه فيه أمر وارد كذلك. والأمر في هذا كله منوط باستعمال. والذي يحدث هو أن أحد الصوتين المتجاورين يفقد ملمحا أو أكثر من ملامحه، ليتلاءم مع ملمح أو أكثر من ملامح الصوت الآخر ليس غير. ولا حاجة بنا إلى أن نتصور قوة صوت وقد هيمنت على قوة صوت آخر أو أنها سطت عليها كما يرى ابن جني وجرامونت.

يكثر الإدغام في قراءة حمزة، وان لم يكن بالقدر الذي نجده في قراءات سبعية[٧٣] أو عشرية[٧٤] أخرى، ويمكن حصر مجالات الادغام في قراءة حمزة فيما هو آت:

١ - *ادغام صوت وقفي في صوت وقفي:*

قرأ حمزة بادغام الدال في الجيم وذلك كما في:

«قد جّئتكم»[٧٥].

وقرأ كذلك بادغام التاء في الجيم كما في: «نضجت جّلودهم»[٧٦].

وقرأ بادغام التاء في الطاء كما في «بيتّ طائفة»[٧٧].

٢ - *ادغام صوت استمراري في صوت وقفي:*

قرأ حمزة بادغام الثاء في التاء، كما في «لبثتم»[٧٨] و «لبثت»[٧٩]. وقرأ بادغام الذال في التاء، كما في:

---

(٧٣) يكثر الادغام بصورة متميزة في قراءة أبي عمرو بن العلاء.

(٧٤) كما في قراءة يعقوب، حضرمي.

(٧٥) آل عمران: ٤٩ والأعراف: ١٠٥ والزخرف: ٦٣.

(٧٦) النساء: ٥٦ (٧٧) النساء: ٨١.

(٧٨) حيث وردت في القرآن الكريم.

(٧٩) حيث وردت في القرآن الكريم.

«اذ تبرأ»[٨٠].

٣ – ادغام صوت وقفي في صوت استمراري:

قرأ حمزة بادغام التاء في السين كما في:«أنبتت سبع سنابل»[٨١] وكما في «وجاءت سكرة الموت»[٨٢] وقرأ بادغام الدال في الصاد كما في:«لقد صدق»[٨٣]، وقرأ بادغام الدال في الضاد كما في «فقد ضل»[٨٤]. وينبغي لنا أن نلاحظ هنا أن الضاد لم تكن صوتا وقفيا (انفجاريا) كما ننطقها في العربية الفصحى المعاصرة، فنحن الآن ننطق الضاد كما تكون الدال المفخمة. وأما الضاد العربية القديمة فقد كانت صوتا رخوا (استمراريا احتكاكيا). هكذا وصفها علماء العربية[٨٥] وعلماء القراءات[٨٦].

ومن الأصوات الوقفية التي أدغمت في أصوات استمرارية في قراءة حمزة: الدال اذ أدغمتها في الظاء، كما في «فقد ظلم»[٨٧].

٤ – ادغام صوت استمراري في صوت استمراري:

قرأ حمزة بادغام لام (بل) في الراء في نحو:

«بل ران»[٨٨]

---

(٨٠) البقرة: ١٦٦.

(٨١) البقرة: ٢٦١ (٨٢) ق: ١٩.

(٨٣) الفتح: ٢٧ (٨٤) حيث وردت في القرآن الكريم.

(٨٥) سيبوية. الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥) ٤٣٥/٤.

(٨٦) ابن الجزري. النشر في القراءات العشر ٢٠٢/١.

(٨٧) البقرة: ٢٣١ والطلاق: ١

(٨٨) المطففين: ١٤.

خامسا: الامالة

الامالة تعني امالة الألف نحو ياء المد، وامالة الفتحة باتجاه الكسرة. قال ابن يعيش[٨٩]: «الامالة في العربية عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة، وبين مخرج الياء. وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الامالة، وبحسب بعده تكون خفتها، والتفخيم هو الأصل والامالة طارئة»[٩٠]. وهنا لابد أن نلاحظ ما يأتي:

١ - أما أن الامالة عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فصحيح من وجهة صوتية معاصرة. ويضاف إلى ذلك امالة الفتحة نحو الكسرة.

٢ - وأما قول ابن يعيش «وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الامالة، وبحسب بعده تكون خفتها» فغير صحيح، بل إن عكس ذلك تماما هو الصحيح، فكلما اقتربنا من ياء المد تقل الامالة، وكلما ابتعدنا عنها تكون الامالة شديدة، كما هو واضح من الشكل (٣).

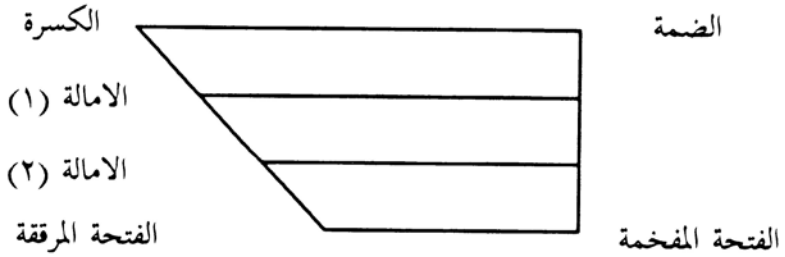

الشكل (٣)

(٨٩) يعيش بن علي بن يعيش حلبي المولد والنشأة، له مصنفات كثيرة منها شرح المفصل، وشرح الملوكي. ولد سنة ٥٥٣هـ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ (انباه الرواة: ٤/٤٥).

(٩٠) يعيش بن علي بن يعيش. شرح المفصل (بيروت: عالم الكتب، د. ت) ٩/٥٤.

والذي دعاهم إلى هذا هو أنهم كانوا يعتقدون أن الكسرة صوت سفلي وأن الفتحة صوت علوي، وهذا خطأ باطلاق. ومن الغريب أننا ما زلنا نجد من يتبنى هذا حتى الآن، يقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي:«لأن الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله»[٩١].

٣ – وأما ما سماه ابن يعيش الألف المفخمة فانما يقصد به الألف غير الممالة. وقد كانوا يستعملون هذا المصطلح للألف غير الممالة، ولم يكونوا يقصدون الألف المفخمة التي هي صوت خلفي، كما هو موضح على الشكل (٣). والدليل على أنهم كانوا يريدون بهذا المصطلح الألف غير الممالة، هو استعمالهم اياه مقابلا للألف الممالة، وذلك واضح من قول ابن يعيش:«والتفخيم هو الأصل، والامالة طارئة».

أما مواطن الامالة عند حمزة فهي:

١ – قال الداني[٩٢]:«وقد تفرد حمزة بامالة الأفعال العشرة الآتية[٩٣]: جاء، شاء، زاد، ران، خاف، طاب، خاب، حاق، ضاق، زاغ، زاغوا»[٩٤].

وأما الاصبهاني[٩٥] فقد ذكر من هذه الأفعال ثمانية هي (زاد، وجاء، وشاء، وزاغ، وطاب، وخاب، وحاق، وضاق)[٩٦] وأسقط منها: (ران، وخاف)، وذكر

(٩١) أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث (القاهرة: ١٩٦٥) ص ٢٠٤.

(٩٢) عثمان بن سعيد الداني شيخ مشايخ المقرئين في زمانه ولد سنة ٣٧١هـ أخذ القراءة عرضا عن ابن غلبون والمصاحفي وغيرهما. له مصنفات كثيرة منها: التيسير، وجامع البيان وغيرها. توفي سنة ٤٤٤هـ (غاية النهاية: ٥٠٣/١).

(٩٣) هذه الأفعال أحد عشر اذا عددنا (زاغ وزاغوا) فعلين وهو الأمثل في القراءات، وهي عشرة اذا عددناهما فعلا واحدا.

(٩٤) عثمان الداني. التيسير في القراءات السبع. تحقيق: أوتو برتزل (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥) ص ٥٠.

(٩٥) أبو بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني. قرأ على ابن الأخرم وابن بويان، له كتب كثيرة منها: المبسوط في القراءات العشر، توفي سنة ٣٨١هـ. (غاية النهاية: ٤٩/١).

(٩٦) أحمد بن الحسين الأصبهاني. المبسوط في القراءات العشر. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠) ص ١١٨.

أن ألف (زاغت) تمال في رواية خلاّد[٩٧].

وقد فسّر مكي بن أبي طالب سبب امالة الألف في هذه الأفعال فقال:«وعلة الامالة في ذلك أنه أمال ليدل على أن الحرف منها ينكسر عند الاخبار في قولك «جئت، وشئت، وخفت، وزغت، وطبت، وضقت، وخبت، وخفت» فدل بالامالة على أن الأول مكسور منها عند الاخبار، فعملت الكسرة فأميلت الألف لها»[٩٨]. ثم أخذ مكي يفصّل القول في ترتيب علل الامالة في هذه الأفعال من حيث الدرجة والقوة فقال:«وهذه الأفعال يفضل بعضها بعضا في قوة الامالة فيها، فأقواها في الامالة «جاء، وشاء» وذلك أن فيها أربع علل تقوى الامالة بها، إحداها أن الأول ينكسر عند الاخبار في قولك «جئت وشئت». والثانية أن الألف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء فيهما. والثالثة أن الهمزة في آخرها تشبه الألف لأنها أختها في قرب المخرج، وفي أنها تبدل الهمزة كثيرا، فصار كأن في آخرها ألفا، فقويت الامالة لذلك. **والرابعة أن العين** في المستقبل منهما مكسورة، فأميلت الألف في الماضي، لتدل على كسرة العين في المستقبل، كما أميل «خاف» لكسر الخاء في الاخبار، فهي امالة لشيء مقدر في الكلام فيهما».[٩٩]

٢. قال ابن مجاهد:«وأما حمزة فكان لا يميل من ذلك شيئا الا قوله (الأشرار، والقرار، وذات قرار، والوحد القهار، والبوار»[١٠٠]. وهو يقصد بقوله:«لا يميل من ذلك شيئا» كل ألف تأتي بعدها راء مكسورة مثل:«أصحاب النار». والأمر بحاجة الى ارجاع نظر فيما قاله ابن مجاهد من زاويتين:

الأولى أن امالة (الأشرار) و (القرار) ..... وسائر نظائرهما، هو في الحقيقة احدى روايتين عن حمزة، وهي رواية خلف. وأما رواية خلاد فلا تميل من ذلك إلا ما

(٩٧) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٩٨) مكي بن أبي طالب. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١٧٥/١.

(٩٩) المرجع السابق، ١٧٥/١.

(١٠٠) ابن مجاهد. السبعة في القراءات ص ١٤٩.

انتهى براء مكسورة، وإلا ما كانت الراء المكسورة في آخره مكررة كما في (قرار)[١٠١]. وكان من الحق أن يذكر ابن مجاهد ذلك.

الثانية: أن علة الامالة في (الأشرار، والقرار، والأبرار) ليس بسبب كون الراء الاخيرة مكسورة، بل لكون الراء مكررة كما ذكر الأصبهاني[١٠٢]. نعم، ان العلة في امالة ألف (في النار) و (بقنطار) في قراءة حمزة هي كون الألف متبوعة براء مكسورة، ولكن العلة في هنا هي تكرار الراء[١٠٣].

٣. قرأ حمزة بامالة كل ألف تسبقها راء مع كون الألف منقلبة عن ياء في الأصل نحو:(نرى، ترى، اشترى) وما كان من هذا الباب.

٤. أمال حمزة الفتحة التي تسبق التاء التي في آخر الأسماء المؤنثة، في حال الوقف عليها وذلك مثل: شجرة ، وأمة، ولعنة، وقوة، ومعدودة، وجنة، وربوة، وخطيئة، والملائكة، وبقرة.

٥. أمال حمزة ألف (كلاهما) في قوله تعالى: «أحدهما أو كلاهما»[١٠٤]. وقد أشار مكي بن أبي طالب الى مضمون المماثلة غير المباشرة التي تتحصل من إمالة ألف (كلاهما)، فذكر أن هذه الألف أميلت لتماثل كسرة الكاف، وقال:«ولم يعتد باللام لأن الحرف الواحد لا يمنع ولا يحجز. وقد أمالت العرب الألف للكسرة التي قبلها، وقد حال قبلها حرفان، نحو قولهم: (لن تضربها، وتريد أن تنزعها)، فأمالوا المكسورة ولم يعتدّوا بالهاء لخفائها، ولا بالياء ولا بالعين لأنه حرف واحد»[١٠٥].

---

(١٠١) الأصبهاني. **المبسوط في القراءات العشر** ص ١١٢.

(١٠٢) المرجع السابق، ص ١١٢.

(١٠٣) المرجع السابق، ص ١١١.

(١٠٤) الاسراء: ٢٣.

(١٠٥) مكي بن أبي طالب. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، ١٧٣/١.

وقد استدل البصريون بامالة ألف (كلاهما) في هذه القراءة[١٠٦] على أنها ليست للتثنية، اذ لو كانت للتثنية لما أميلت[١٠٧].

٦. ذكر مكي بن أبي طالب أن مما تفرد حمزة بامالته ألف (آتيك) من قوله تعالى:«أنا آتيك به»[١٠٨] وقال: «أمال الألف على أنها فاعل، وأمال الهمزة لكسرة التاء»[١٠٩].

٧. وأمال حمزة كل ألف تدل امالتها على أصلها، كأن تكون الألف مما أصله ياء، أو تكون زائدة رابعة أو أكثر، فيكون حكمها حكم ما أصله الياء، أو تكون الألف للتأنيث، وذلك مثل:«أتى، وتعالى، والهدى، والهوى، وتزكى، ويرضى، وكسالى، ويتامى، وحوايا، وشتى، وصرعى»[١١٠].

(١٠٦) عبد الرحمن الأنباري. **الانصاف في مسائل الخلاف**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٦١) ص ٤٤٨.

(١٠٧) المرجع السابق، ص ٤٤٨. (١٠٨) النمل: ٣٩.

(١٠٩) مكي بن أبي طالب. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**. ١٧٣/١.

(١١٠) المرجع السابق ١٧٧/١ - ١٧٨.

المراجع

(١) الأنباري، عبد الرحمن. **الانصاف في مسائل الخلاف**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٦١).

(٢) بشر، كمال. **علم اللغة العام – الأصوات** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠).

(٣) ابن الجزري، محمد بن محمد. **غاية النهاية في طبقات القراء**. تحقيق: ج. برجستر اسر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠).

(٤) ـــــ. **النشر في القراءات العشر** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

(٥) الجندي، أحمد علم الدين. **اللهجات العربية في التراث** (القاهرة: ١٩٦٥).

(٦) ابن جني، عثمان. **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: دار الهدى، د. ت).

(٧) حسان، تمام. **اللغة العربية – معناها ومبناها** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥).

(٨) ابن خلكان، أحمد بن محمد. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: احسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩).

(٩) الداني، عثمان. **التيسير في القراءات السبع**. تحقيق: أوتو برتزل (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥).

(١٠) الذهبي، محمد. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. تحقيق: علي محمد البجاوي (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٣).

(١١) سيبويه، عمرو بن عثمان. **الكتاب**. تحقيق: عبد السلام هارون. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥).

(١٢) ابن غلبون، طاهر. **كتاب التذكرة في القراءات**. تحقيق: عبد الفتاح بحيري ابراهيم (القاهرة: دار الزهراء للاعلام، ١٩٩٠).

(١٣) ابن القاصح، علي. **سراج القارىء المبتدي وتذكار القارىء المنتهي** (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤).

(١٤) ابن القفطي، علي بن يوسف. **انباه الرواة على أنباء النجاة**. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦).

(١٥) القيسي، مكي بن أبي طالب. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**. تحقيق: محيي الدين رمضان (دمشق: مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٤).

(١٦) ابن مجاهد، أحمد. **السبعة في القراءات**. تحقيق: شوقي ضيف. (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨).

(١٧) المحيسن، محمد. **المهذب في القراءات العشر** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨).

(١٨) المكي، الموفق بن أحمد. **مناقب ابي حنيفة** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١).

(١٩) ابن يعيش، يعيش بن علي. **شرح المفصل** (بيروت: عالم الكتب، د. ت).

20 - Catford, J.C. Fundamental Problems in Phonetics. (Bloomington, Indiana University Press, 1977).

21 - Malmberg, Bertil. Phonetics. (N.Y., Dover Publications, Ltd., 1963).